



على خطى الحبيب المصطفى

الميتيم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

اهتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمثل العالمية والأخلاق السامية التي تصوغ الحياة في إطار المودة والتعاطف وتوحد طاقات المجتمع في بوتقة التكافل الاجتماعي.. وقد بين لنا - صلى الله عليه وسلم - ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المؤمنين بعضهم ببعض فجعلها مثل البناء المتداحم الذي لا خلل فيه فقال - صلى الله عليه وسلم -: (المؤمن للمؤمن كالمبنيان يشد بعضه بعضاً)... رواه البخاري..

وصور لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - تلاحم العواطف وقوة شعور الفرد بإخوانه المسلمين بقوله: (إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس).. رواه أحمد..
ومن ثم فإن رابطة الأخوة بين المسلمين توجب على الموسر منهم مساعدة المعسر وأي عسر أعظم من الميتم فاليتيم مظهر واضح للضعف والحاجة إلى المعونة والرفق والرعاية..

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أوائل الذين لمسوا آلام اليتيم وأحزانه ومن ثم اهتم - صلى الله عليه وسلم - باليتيم اهتماماً بالغاً من حيث تربيته ورعايته ومعاملته وضمان سبل العيش الكريمة له حتى ينشأ عضواً نافعاً ولا يشعر بالانقص عن غيره من أفراد المجتمع فيتحطم ويصبح عضواً هادماً في الحياة.. فقال - صلى الله عليه وسلم - حاثاً وأمراً ومحضراً على رعاية اليتيم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً)... رواه البخاري.

قال ابن بطال: □ حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة ولما منزلة في الآخرة أفضل من ذلك .

وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإحسان إلى اليتيم علاجاً لقسوة القلب وإن أبعد القلوب عن الله المقلب القاسي فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل يشكو قسوة قلبه فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك)... رواه المطبراني .
كما بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - من أحسن إلى اليتيم ولو بمسح رأسه - ابتغاء وجه الله - بالأجر والثواب الكبير حيث قال - صلى الله عليه وسلم -: (من مسح رأس يتيماً لم يمسه إلا لله - كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيماً عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين)... رواه أحمد.

وهذا التوجيه الذي ذكره الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مسح شعر اليتيم هو الحد الذي لا يصعب على أحد ويمكن أن يقوم به كل إنسان فيشعر اليتيم بالحب والحنان ثم هو يجلب له الحسنات.

بل كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرص كل الحرص على رعاية مشاعر الأيتام وإدخال السرور عليهم ففي قصة اختصام أبي لبابة - رضي الله عنه - وبيتم في نخلة قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي لبابة بالنخلة لأن المحق كان معه لكنه - صلى الله عليه وسلم - لما رأى الغلام اليتيم يبكي قال لأبي لبابة: (أعطه نخلتك فقال: لا فقال أعطه إياها ولك عذق في الجنة فقال: لا

فسمع بذلك ابن الدحداحة فقال لأبي ثبابة: أتبيع عذقك ذلك بحديقتي هذها؟ فقال نعم.. ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: النخلة التي سألت لليتيم أن أعطيته ألي بها عذق في الجنة؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعم. ثم قال ابن الدحداحة شهيدا يوم أحد فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: رُب عذق مذلل لابن الدحداحة في الجنة... رواه البيهقي.*
أهمية رعاية اليتيم

وقد مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - نساء قريش لرعايتهن اليتامى فقال - صلى الله عليه وسلم -: (خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على يتيم في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)... رواه أحمد.

ولما مات جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - تعهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أولاده وأخذهم معه إلى بيته فلما ذكرت أهمهم من يتهم وحاجتهم قال - صلى الله عليه وسلم -: (العيلة (يعني المفقور والحاجة) تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة)... رواه أحمد. ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقتصر في اهتمامه باليتيم على أسلوب الحث والترغيب بل استخدم أيضا أسلوب التحذير من الإساءة إلى الأيتام أو أكل أموالهم بالباطل بحيث لا يقدّم على فعل ذلك إلا من قسى قلبه وغلبت عليه شقوته فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربوا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)... رواه البخاري..

فعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكل مال اليتيم من السبع الموبقات ومن كبائر الذنوب وعظائم الأمور.. ولخطورة وعظم حق مال اليتيم وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كان ضعيفا من الصحابة أما يتولين مال يتيم فعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولما تولين مال يتيم)... رواه مسلم.

وقد ترجم المسلمون الأوائل هذه التوجيهات النبوية ترجمة عملية ومن ينظر في حال سلفنا الصالح يظهر له بوضوح مقدار الحرص على رعاية اليتيم وكفالتهم طلبا وبحثا عن ترقيق القلوب والأجر العظيم ومرافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة فهو المقاتل - صلى الله عليه وسلم -: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا)... رواه البخاري..